جامعة البصرة
كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون التشكيلية
الدراسات العليا
الماجستـــــير

اسم التدريسي : اسماء سمير
اسم المادة : جماليات معاصرة لفن الرسم
عدد الوحدات : (٢)
تسلسل المحاضرة الثالثة / ١٠ / ٢٠٢٤
عنوان المحاضرة : القراءة الاركيولوجية
للكوجيوتو الديكارتي

القراءة الاركيولوجية للكوجيوتو الديكارتي

(انا افكر اذن انا موجود)

انا افكر اذن انا موجود مقولة اطلقها الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت * خلال القرن السابع عشر ليعلن عن الذات المفكرة او الذات الواعية كأساس للمعرفة والوجود . فديكارت كأحد رواد الفلسفة الحديثة ومذهبها العقلاني اعلن فاعلية العقل في تحصيل المعرفة مؤكداً بأن العقل هو اساس الوصول الى الحقيقة . وهنا نجد انتقالة من التفكير الفلسفي القائم على ممارسات الميتافيزيقيا وانموذجها في المثل الى التفكير الفلسفي العقلاني القائم على التجربة وفي قراءة اركيولوجية لابستيمي القرن السابع عشر وعلاقة السلطة بالمعرفة نجد بنية الفكر (الخطاب) دخلت مرحلة تاريخية جديدة تداخل فيها الديني بالانساني اي ان المؤسسة الدينية كسلطة عليا تراجعت نوعاً ما لتدخل العلوم والاكتشافات كجزء من استراتيجيات تحصيل المعرفة فبعد ان كان العقيدة هي من تتصدر تغذية المؤسسات بالمعرفة اصبح للعلم والعقل دور في تحصيل المعرفة لينتقل الفكر الغربي من الميتافيزيقيا الى فلسفة الطبيعة التي تقوم على دراسة الظواهر الكونية وفقاً لقوانين رياضية و قد كان قانون نيوتُن الخاص بالجاذبية، افضل مثال لتلك القوانين لذا عرف فلاسفة القرن السابع عشر بفلاسفة العقل وفلسفتهم بالعقلانية المحدثة .

وهنا نجد ان هذه الانتقالة وتداخل الديني والانساني تحقق بفعل نمو وتضخم الفكر فالانسان مع دخوله عتبة عصر التنوير وبعد الاكتشافات العلمية ايقن بعدم صلاحية الافكار الميتافيزيقة بأنموذجها التقليدي كأداة لتحصيل الحقيقة . بما استدعى سياسة جديدة تبدأ من الانسان ذاته وهذه الفلسفة حول الطبيعة وجدت تطبيقاتها على الطبيعة البشرية فمثلما الكون يسير وفق نظام وقانون محكم كذلك الانسان يسير وفق قوانين بحسب رأي فيلسوف الاخلاق مونتسكيو * احد رواد العقلانية ويرى الاخير أن: الله له علاقة مع الكون وبالتحديد مع الناس الذين يرتبطون به

*) رينيه ديكارت(René Descartes) ١٥٩٦- ١٦٥٠ فيلسوف وعالم رياضياتي وفيزيائي فرنسي لقب بـ«أبو الفلسفة الحديثة»، ابتكر انظامًا رياضيًا سمي باسمه وهو نظام الإحداثيات الديكارتية الذي شكل النواة الأولى للهندسة التحليلية ليدخل كأحد الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية.

*) شارل دي سكوندا، بارون دي مونتسكيو - (Charles de Secondat, baron de Montesquieu (Montesquieu (١٦٨٩- ١٧٥٥) فيلسوف فرنسي وصاحب نظرية فصل السلطات شارل مونتسكيو كاتب أخلاقي ومفكر وفيلسوف فرنسي، درس التاريخ والقانون والفلسفة وترك

بوشائج الأخلاق والدين، فقوانين التنظيم الاجتماعي ذات علاقة إذن بالله، مع حكمته وقدرته ليصنف مونتسيكيو كأول الفلاسفة الذين حاولوا صياغة جوانب الاتساق الأساسية في كافة أنماط السلوك الإنساني . اما جان جاك روسو في مؤلفه العقد الاجتماعي يطرح نظريته حول أفضل طريقة لإقامة المجتمع السياسي ومواجهة مشاكل المجتمع من خلال التنظيم الاجتماعي وشروط العلاقة بين الحاكم ورعيته منتقداً كل شكل من اشكال السلطة المطلقة ليشكل مصدر إلهام لبعض الإصلاحات السياسية أو الثورات في أوروبا وخاصة في فرنسا .

واذا كان مونتسيكيو وروسو بحثوا في الاخلاق والسياسة واصول تنظيمها وقوانينها بنوع من العقلانية فأن ديكارت الذي يمكن تصنيف افكاره كعتبة الدخول لعصر الانوار فهو يبدأ نظريته المعرفية بالشك الذي اوجد تطبيقاته في كل اشكال المعرفة ما عدا الدين والعقيدة فقد شك ديكارت في المعرفة الحسية سواء منها الظاهرة أو الباطنة، وكذلك في المعرفة المتأتية من عالم اليقظة، كما شك في قدرة العقل الرياضي على الوصول إلى المعرفة ، وشك في وجوده، ووجود العالم الحسي، إلى أن أصبح شكه دليلا عنده على الوجود، فقال» *كلما شككت ازددت تفكيرا فازددت يقينا بوجودي* . فبحسب الشك الديكارتي يتوجب على الانسان الشك في كل شيء ويضرب مثلاً هلى ذلك بقوله. ان على الانسان ان يشك في كل شيء . فهل انا مثلا واثق من جلوسي في هذا المكان ؟ الا يحتمل انني احلم ؟ وان كل وجودي هو حلم في حلم ؟ ... الذي لا شك فيه هو انني افكر لذا (انا افكر اذن انا موجود) . وهكذا فان لشك يقود الى التفكير ويؤكد الوجود . ولأن ديكارت عالم رياضيات بالمقام الاول فهو يتخذ منهجاً رياضياً لفلسفته محاولاً استنتاج ماهية الاشياء باستنباط عقلي فعندما يؤسس ديكارت نظامه الفلسفي وفقاً للمنهج الرياضي فهو ينشد الوضوح واليقين الذي تتسم به العلوم الرياضية ، ليقدم الكوجيوتو (انا أفكر + انا موجود) كمعادلة شبيهة بمبادئ الرياضيات التي تؤسس لكل المبرهنات الرياضية . كما يسير ديكارت بالطريقة الاستنباطية السائدة في الرياضيات في مذهبه الفلسفي حيث يستنبط وجود الإله والعالم وخلود النفس من وجود الأنا أفكر. ويقوم المنهج الديكارتي على أساسين، هما:

مجموعة كبيرة من الأعمال التي تميز بها، أهمها»مقالة في سياسة الرومان في الدين ، الرسائل الفارسية ونظرات في أسباب عظمة الرومان وانحطاطهم وأهمها وأشهرها» روح القوانين .

يعد مونتسكيو واحداً من أكبر دعاة الحرية والتسامح والاعتدال والحكومة الدستورية في بلده، وكان من أشد أعداء الحكم الاستبدادي، ونادى بفصل السلطات، ورد أصل الدولة والقوانين إلى الطبيعة وخاصة في كتابه» روح القوانين «أو «الشرائع» إذ يقول: «إن الطبيعة هي التي تحدد نوع الدولة، أو نوع العلاقات بين الأفراد التي تحدد بالتالي شكل الدولة»، ويقصد بالطبيعة المناخ، ويرى أن نظم الحكم والقوانين تختلف من مجتمع إلى مجتمع باختلاف المناخ، وأن اختلاف المناخ هو الذي يتسبب في اختلاف العادات والتقاليد والنظم الاقتصادية والأديان، بل ومفهوم الحرية، ويرى كذلك أن سكان الجبال والجزر يحسّون بحرياتهم أكثر من سكان السهول والقارات لسهولة الدفاع عن الأولى، وأن سكان الجبال يتصفون بالاقتصاد والاستقلالية والنشاط بسبب طبيعة بلادهم، وجعله هذا التفسير الجغرافي واحداً من مؤسسي نظرية الحتمية الجغرافية بعد ابن خلدون.

١. البداهة: أي التصور الذي يتولد في نفس سليمة منتبهة عن مجرد الأنوار العقلية.

٢. الاستنباط: أي العملية العقلية التي تنقلنا من الفكرة البديهية إلى نتيجة أخرى تصدر عنها بالضرورة.

ولما كان ديكارت يتخذ موقفاً شكياً من المعرفة العقلية والحسية فهو يؤسس اراءه الجمالية على مبدأ النسبية أي ان الفن يجب ان يوازن بين المعقول والمحسوس وان الفنون تتبع لذتان :

- الاولى عقلية ترتبط بقدرة الفنان على ابتكار الاشكال وتنظيمها
- الثانية حسية ترتبط بالذات والعاطفة

وفقاً لذلك يتحدد الجمال لدى ديكارت بمبدأ النسبية ذلك ان الجمال لا يخضع الى مقاييس مطلقة بل تتدخل في انتاجه ذاتية واحاسيس الفنان وذكرياته الا ان هذه الاحاسيس ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقل وقدراته في تنظيم الاشكال وصياغتها .

ورغم ان ديكارت سمح بتدخل الحواس الا انه هذه الحواس يجب ان تكون محددة ومضبوطة فيقول ان العمل الفني يجب ان يكون وسطاً بين الافراط بالحس والقصور عن اثارته اي يجب تحكيم العقل من جهة الشكل وتحكيم العواطف من جهة اخرى المضمون فديكارت يدعوا الى الاتزان في تدخلات الحواس بما يناسب العقل اي ان لا تطغى الحواس ولا تضمر وهنا نجد ان ديكارات يتخذ موقفاً مثالياً ذو نزعة واقعية فعندما يجعل للعقل دوره في تقرير الجمال تتبعه الحواس كمحركات ترتبط بالذات الانسانية والذاكرة والتجارب فهو يقدم لنا انموذجا فلسفيا يجمع بين المثالي والواقعي ولهذه الفكرة مقاربات مع ما طرحه ارسطو عندما وازن بين المعقول والمحسوس ومعارضة مع كانت الذي قدم الشكل الخالص كأنموذجاً للجمال الخالص اي كلما كان الشكل مجرداً من الاحاسيس والعواطف وشوائب العالم المادي كلما اقترب من الجمال الحقيقي الخالص .

وفقاً لنسبية ديكارت فأن الحكم الجمالي حكم نسبي ذاتي يسمح للاحاسيس والاهواء الفردية بالتدخل ولكن انطلاقاُ من العقل

مما تقدم يبدو ان اراء ديكارت الجمالية جاءت تطبيقاً لسيادة فلسفة الطبيعة التي دعت الى تقديم الوجود وفقاً لقوانين رياضية فعندما يرد ديكارت الجمال الى تحكيم العقل وقدراته في انتاج الاشكال وتنظيمها فهو يتخذ موقفاً

رياضياً من حيث الاتساق والوحدة والاتزان والتناسب وهو ما عرفت به الفنون الكلاسيكية وعلى نحو خاص فنون عصر النهضة .كما في الشكل ادناه للفنان روفائييل والموسوم (مادونا كارديلينو)

ملاحظة /////

المطلوب قراءة العمل قراءة اركيولوجية وفقاً للفلسفة المثالية واراء ديكارت